

ذو الوجهين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- وبعد ،

ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَّهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِ، وَيَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِ))([١])

والمعنى كما قال العلماء : إِنَّمَا كَانَ ذُو الْوَجْهَيْنِ شَرَّ النَّاسِ لِأَنَّ حَالَهُ حَالُ الْمُنَافِقِ إِذْ هُوَ مُتَمَلِّقٌ بِالْبَاطِلِ وَبِالْكَذِبِ مُدْخِلٌ لِلْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: هُوَ الَّذِي يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا يُرْضِيهَا فَيُظْهِرُ لَهَا أَنَّهُ مِنْهَا وَمُخَالَفٌ لِضِدِّهَا وَصَنِيْعُهُ نِفَاقٌ وَمَحْضُ كَذِبٍ وَخِدَاعٌ وَتَحْيِيلٌ عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى أَسْرَارِ الطَّائِفَتَيْنِ وَهِيَ مَدَاهِنَةٌ مُحَرَّمَةٌ، قَالَ فَأَمَّا مَنْ يَفْصِدُ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فَهُوَ مَحْمُودٌ وَقَالَ غَيْرُهُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَذْمُومَ مَنْ يَزِينُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ عَمَلَهَا وَيَقْبَحُهُ عِنْدَ الْأُخْرَى وَيَذُمُّ كُلَّ طَائِفَةٍ عِنْدَ الْأُخْرَى وَالْمَحْمُودُ أَنْ يَأْتِيَ لِكُلِّ طَائِفَةٍ بِكَلَامٍ فِيهِ صَلَاحُ الْأُخْرَى وَيَعْتَذِرُ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَنِ الْأُخْرَى وَيُنْقَلُ إِلَيْهِ مَا أَمَكَّنَهُ مِنَ الْجَمِيلِ وَيَسْتُرُ الْقَبِيْحَ ([٢])

وقال ابن بطال : يريد أنه يأتي إلى كل قوم بما يرضيهم كان خيراً أو شراً، وهذه هي المداينة المحرمة، وإنما سمي ذو الوجهين مدايناً؛ لأنه يظهر لأهل المنكر أنه عنهم راض فيلقاهم بوجه سمح بالترحيب والبشر، وكذلك يظهر لأهل الحق أنه عنهم راض وفي باطنه أن هذا دأبه في أن يرضي كل فريق منهم ويريهم أنه منهم.([٣])

نعوذ بالله من هذا الحال في الدنيا والآخرة إنها حالة من عدم الثبات على المعتقد الحق وإن دلت فإنما تدل على غياب الإخلاص في القصد والعمل

هذا الوصف خليق أن ينأى عنه عوام المسلمين فضلا عن علمائهم ودعاتهم فلا يليق بأهل الفضل والصلاح أن يتلونوا مع الناس بما يحبون في أي شيء!

قَالَ حُذَيْفَةُ: "إِنَّ الضَّلَالَةَ حَقُّ الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُتَكَبَّرُ وَتُتَكَبَّرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ، وَإِيَّاكَ وَالنَّوْءَ فِي الدِّينِ" [٤]

فقد يتهاون بعض دعاة المسلمين في التمسك بعقيدتهم وشعائرهم فيداهنون أهل البدع ويجارونهم في أعمالهم، فإن جالسوا الرافضة لم ينكروا سبهم للصحابة وغلوهم في علي، وإن جالسوا النصارى استمعوا لترانيمهم ولم ينكروها وفيها ما فيها من الكفر والسب لرب العباد والله قد حبس الجمادات أن تسقط عليهم من هول ما يقولون لو قالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) {مريم: ٨٨-٩٣}

ولهذا ذكر علماء المعتقد أبواب نفيسة في الحذر من مجالسة أهل البدع ومحادثتهم والركون إليهم إجلالا للعلم حتى لا يوضع في غير محله ومن ذلك ما نقلوه عن ابن المبارك قال أحد طلابه " أتى ابن المبارك ابنُ والي خراسان فسأله أن يحدثه، فأبى عليه ولم يحدثه، فلما خرج خرج معه ابنُ المبارك إلى باب الدار، فقال له: يا أبا عبد الرحمن سألتك أن تحدثني فلم تحدثني، وخرجت معي إلى باب الدار، فقال: "أما نفسي فأهنتها لك، وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإني أُجلُّه عنك"

وعن مالك قال: " لما دخل ربيعة على الوليد بن يزيد وهو خليفة، قال: يا ربيعة حدثنا"، قال: ما أحدثت شيئا، قال: فلما خرج من عنده، قال: أألا تعجبون من هذا الذي يقترح علي كما يقترح علي المغنبي: حدثنا يا ربيعة" [٥]

فكن رحمك الله صادقاً في سرِّك وعلانيتك سليم الصدر والوجه للناس أجمعين لا تتطرق إلا بما وافق الحق ولا تجلس في مجلس السخط واحذر أهل الهوى فإنهم لن يرضوا عنك حتى تكون على شاكلتهم

والله أسأل أن يرزقنا الصدق في أقوالنا وأعمالنا وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد

كتبه

أحمد بن سليمان

[١] صحيح البخاري (٣٤٩٣) وصحيح مسلم (٦٥٤١)

[٢] فتح الباري للحافظ ١٠/٤٧٤.

[٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٢٥١.

[٤] الإبانة لابن بطة (٥٧٣).

[٥] انظر الجامع للخطيب البغدادي ١/٣٣٦.